

مالك ابوالحسن

في هذا العام 2011 يدلف العالم العقد الثاني من الالفية الثالثة ويدلف مؤتمر الطلاب المستقلين عامه الرابع والثلاثين هذا اذا اعتبرنا ان نشأة المؤتمر تمت في 1977 , وبهذا العمر الطويل لتنظيم طلابي سياسي تكون هناك توقعات كثيرة وعلى اصعدة مختلفة , لقد ظل المؤتمر منذ تأسيسه مغايرا للواقع السياسي الذي يتحرك فيه ويمكننا اثبات ذلك بالنظر للموضوعات والقضايا التي طرحها او تصدى لها المؤتمر حيث كانت النشأة عبارة عن مواجهة للانحراف في البنية السياسية (السلطة والمعارضة) الذي تم بعد توقيع المصالحة الوطنية في 7-7-1977 في مدينة بورتسودان بين حزب الامة ونظام مايو ولحقته جبهة الميثاق الاسلامي وقتها وكاد ان يكون معه الحزب الاتحادي الديمقراطي , من هنا كان انطلاقة هذا التنظيم الطلابي في التعبير عن قضايا الشعب او على الاقل الحركة الطلابية و بعد ان ايقن ان المعارضة التي يفترض انها تمثل مصالح ونبض الشعب او تعبر عنه انحرفت عن مسارها وحيث ان المؤتمر كان يتخلق في فضاء طلابي فان المصالحة الوطنية لم تكن تعبر ايدا عن توجهات ورغبات الحركة الطلابية وهذا ما وضع جليا في التمدد الكبير للمؤتمر وسط الحركة الطلابية منذ تأسيسه حيث اكتسح انتخابات جل الروابط الاكاديمية والاقليمية ثم الاتحادات الطلابية داخل السودان ولقد ظلت سيطرت المؤتمر على الاتحادات لتتوج في العام 1985 بسيطرته على اتحادات كل الجامعات السودانية والاتحادات الطلابية السودانية بالخارج في مصر والهند وباكستان ولقد كان لهذه السيطرة المطلقة للمؤتمر على الاتحادات الطلابية القدر المعلى الذي ساهم في نجاح قيادته للانتفاضة الشعبية ضد نظام مايو والتي انتهت بسقوط النظام

في الفترة من التأسيس في العام 1977 حتى سقوط نظام مايو في العام 1985 كان الهدف الرئيسي للمؤتمر هو اسقاط النظام وكان يرفع المؤتمر شعارات حول القومية السودانية والاستقلالية والديمقراطية ولكن لم يكن هناك أي تأسيس نظري لهذه الشعارات والمقولات ولم تكن هناك أي رؤية نظرية او نظرية معرفية كان المؤتمر قد تبناها , وجد المؤتمرية انفسهم في حالة فراغ من الهدف الاستراتيجي حيث ان النظام قد سقط ثم ماذا بعد؟ كان هذا السؤال يقود الى التحديق مليا في الشارع والى البديل الذي سوف ترغب فيه الجماهير او على الاقل الحركة الطلابية وبعد حوارات كثيفة داخل المؤتمر وخارج المؤتمر اتجهت عدد من القيادات المفتاحية للمؤتمر الى المشاركة في التأسيس لحزب جديد يجمع كل تيارات الوسط (غير المنتمين) من مثقفين وصفوة ومستنيرين ونقابيين فكان ان تم الاعلان بتاريخ 1-1-1986 عن تأسيس حزب المؤتمر الوطني (السوداني) وكان المؤتمر العام الاول الذي تم بقصر الشباب والاطفال.

بعد اسقاط نظام مايو و تكوين حزب المؤتمر الوطني (السوداني) في عام 1986 واجه مؤتمر الطلاب المستقلين الاسئلة التي تحاشاها او لم تكن ملحة الاجابة عليها في وقتها:

- 1- ما هو شكل الدولة الذي سيتبناه المؤتمر او الذي يطرحه النظام البرلماني او النظام الرئاسي؟
- 2- ماهو الدستور الذي سيتبناه المؤتمر الدستور الاسلامي ام الدستور العلماني - المدني؟
- 3- ماهي المرتكزات النظرية التي ينطلق منها المؤتمر أو ماهي الايدلوجية او المنهج الذي سيستخدمه المؤتمر لتحليل الواقع السوداني المنهج المادي ام المنهج المثالي؟
- 4- ماهي الرؤية الاقتصادية للمؤتمر هل سيتبنى المؤتمر النظام الرأسمالي ام النظام الاشتراكي؟
- 5- ماهو رأي المؤتمر من القضايا المطروحة والملحة في الواقع السياسي اليومي في ذلك الوقت :

- أ- قضية الجنوب والحرب الاهلية
- ب- قضية القوانين الاسلامية
- ت- قضية المجاعة والضائقة المعيشية

استجاب المؤتمر لقضايا الشارع ولاسنلة الشارع ومن هنا جاء الانعطاف التاريخي للمؤتمر من تنظيم غير مؤطر نظريا او فكريا لتنظيم ينشد صياغة رؤية متكاملة للواقع السوداني وفي ذات الوقت ايضا بدأ الحزب يطرح نفسه على قرار حزب المؤتمر الوطني في الهند والمؤتمر الوطني في جنوب افريقيا وكما اسلفت استجاب المؤتمر للتصدي للاسنلة المفتاحية التي يفترض ان يقدم اي تنظيم سياسي يطرح نفسه كبديل سياسي محتمل الاجابة عليها وبدأت حالة الاجابات واقول حالة الاجابات لانها ادخلت المؤتمر بتجربته النقابية الناجحة في مأزق اخر فقد كان على تنظيم طلابي ان يفكر مفكروه في انتاج اجابات للاسنلة الرئيسية وفي ذات الوقت يفكر نقابيوه في المحافظة على المكاسب التاريخية التي حققها على الصعيد النقابي والعمل الطلابي الجماهيري ومثلما كان الشارع السياسي السوداني وانحراف البنية السياسية هي القوة الدافعة التي ملأت شراع مؤتمر الطلاب المستقلين ومهدت له الطريق لاكتساح كل التنظيمات الطلابية وقتها كان الشارع وفشل الحكومة الديمقراطية في التصدي للواقع ومشاكله سببا لانتكاسة المؤتمر الجماهيرية والنقابية حيث كان هناك عاملين يعملان وسط قواعد المؤتمر هذان العاملان اديا في النهاية الى اضمحلال المؤتمر كتنظيم طلابي جماهيري له قاعدة واسعة وعريضة وسط الحركة الطلابية والعاملان هما:

- 1- المحاولات الجادة والوثابة التي بدأت في الاجابة على اسئلة الواقع السوداني لان هذه الاجابات غير انها تقدم رؤية جديدة للمؤتمر بالنسبة للحركة الطلابية فهي ايضا غير متفق عليها من قبل عدد كبير من قيادات المؤتمر واعني هنا بدايات طرح منهج التحليل الثقافي وبمجرد تجاوز مرحلة الشعارات الى طرح الافكار والرؤى فإن هذه الاطروحات تخلق متفقين معها وهم مناصرين وهؤلاء كانوا قلة قليلة جدا ومختلفين معها وهم مقاومين لهذه الرؤى وهؤلاء كانوا اكثرية ويبدو ان هؤلاء هم الذين انخرطو في الحزب لاحقا وفصيل ثالث غير عابئين بها وهؤلاء هم تيار عريض وسط قواعد المؤتمر ومع الوقت وشدة الصراع بين التيارين انحسر واضمحل التيار الاخير لينتهي ويتلاشى مع بداية التسعينات.

2- فشل الحكومة الديمقراطية المنتخبة في الاستجابة للقضايا الملحة في البلاد مثل الحرب الاهلية وقضايا الضائقة المعيشية والمجاعة في دارفور وكردفان وباعتبار ان المؤتمر هو الذي عمل وسط الحركة الطلابية لاسقاط نظام مايو وكما انه لم يطرح بديل جاهز كخيار اخر مضافا اليه الدور الهدام الذي لعبته الجبهة الاسلامية عبر اعلامها وامكانياتها الاقتصادية في زعزعة النظام الديمقراطي تمهيدا للانقراض عليه وبالتالي ولو رمزيا تم تحميل المؤتمر للفشل الذي منيت به الحكومة الديمقراطية في عدد من المسائل وهذا التحميل ظهر في نتائج انتخابات الاتحادات الطلابية التي اعقبت سقوط نظام مايو حيث لم يكن المؤتمر في اي اتحاد.

لم بعبا المؤتمر كتنظيم طلابي يضم الاف الطلاب وسيطر على كل الاتحادات الطلابية في عام 1985 داخل وخارج والسودان وعلى معظم الروابط الاكاديمية داخل الجامعات بهذه المكاسب العظيمة التي حققها في وقت قياسي بل اتجه لقضايا واسئلة الشارع وقطاع محدود من الحركة الطلابية وهنا تكمن المفارقة فقد كان طرح المؤتمر لاسقاط نظام مايو كهدف استراتيجي متقاطعا مع رغبة الشارع السوداني والحركة الطلابية في نفس الهدف ولهذا كان المؤتمر معبر عن رغبة وطموحات الحركة الطلابية والشارع السوداني ولم ينتبه المؤتمر وقتها الى تبدل اهداف الحركة الطلابية بل انساق وراء تطلعات بعض القيادات في المؤتمر ورواهم بضرورة ان يكون للمؤتمر منهج لتحليل الواقع السوداني وتقديم اجابات نظرية للاسئلة المطروحة وأيضا استجابة لضغوط التنظيمات الطلابية التي تحاصر المؤتمر في الزاوية متهمة اياه بعدم امتلاكه لاي رؤى نظرية او مناهج للتحليل او طرائق للتفكير ومن هذا الحصار بدأت محاولة الاجابة على الاسئلة التي يفرزها الواقع والتاريخ الحديث للسودان وايضا التي توجهها التنظيمات الطلابية للمؤتمر.

نتاج لحالة الاستقطاب الحادة بين النقابيين (التيار المحافظ) و المفكرين (التيار الحديث) تشكل تيارين في المؤتمر وهما التيار الفكري الذي كان ينظر في بعض الفترات من تاريخ المؤتمر الى المؤتمر كجمعية للفكر الحر او كجمعية تنوير او مجموعة فكرية مهمتها الاساسية التنظير لقضايا الواقع السوداني منكفاة على نفسها لا تحمل على حمل الجد مسألة الاختلاط وامتحان تلك الافكار والمقولات نظريا في المنابر وعمليا في الوصول للسلطة والتيار الاخر هو التيار الذي ينظر للمؤتمر فقط بأنه حركة طلابية تضم الاف الطلاب ووصلت لأعلى السلطات في الجامعات وكان لها التأثير الاكبر في اسقاط النظام المايوي وبالتالي فالمؤتمر عندهم تنظيم برامجي مفتوح يقدم برنامجه على حسب الواقع وعلى حسب القضية المطروحة وبالتالي يجب عدم تبني اي مناهج او طرح اي افكار يمكن ان تؤدلج المؤتمر وذلك حتى يتم المحافظة على المكاسب والقواعد الطلابية.

مع بداية التسعينات بدأت تظهر نتاج تيار المفكرين (الحديث) وانتقل هذا التيار من حالة المشافهة الى حالة الكتابة وظهرت الاطروحات الفكرية للمؤتمر متصدرة بالعبارة الاشهر (اقرأ فكر نافش) ثم كتاب منهج التحليل الثقافي ومن ثم تلتها جدلية المركز والهامش ثم برنامج الثورة السودانية والمشروع الفكري المفتوح وقد شهد المؤتمر في الفترة من بداية التسعينات حتى نهاياتها حوارات فكرية عميقة كانت

معظم أعضاء التنظيم يتسابقون للاطلاع والقراءة وكان ان تجد الحوارات والمساجلات النظرية داخل المؤتمر على اشدها بين العلمانيين ودعاة التمييز بين الدين والسياسة وليس الفصل هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تجد المساجلات بين دعاة تفكيك المركز لصالح الدولة السودانية وبين التيار الاسلاموعروبي داخل المؤتمر.

في اواخر التسعينات وتحديدا منذ العام 1998 اتضحت معالم رؤية المؤتمر الفكرية والتي وتلخصت في برنامج الثورة السودانية فلم يتم انتاج اي دراسات او اوراق او رؤى تجاوزت ما طرح في منهج التحليل الثقافي وجدلية المركز والهامش, بعد اكتمال الرؤى النظرية للمؤتمر ووهي نفس الفترة التي شهدت انحسار المؤتمر تماما كتنظيم جماهيري له قاعدة طلابية عريضة حيث ترجل المؤتمر عن اخر اتحاد طلابي سيطر عليه في العام 1995 في جامعة ام درمان الاهلية والمفارقة هنا ففي اللحظة التي يخسر فيها المؤتمر نقابيا وجماهيريا كان رصيده من الاطروحات الفكرية يتزايد وهذا عكس بجلاء غلبة تيار المفكرين على تيار النقابيين ولايمكن اسقاط تكرار تجربة التنظيم النقابي الجماهيري من الحسابان تماما حيث تكررت في جامعة سنار 1995-1996 حيث استطاع المؤتمر ان يسيطر على الاتحاد ولكن كان هذا فقط في جامعة سنار وكانت جامعة سنار اقرب لحزب المؤتمر الوطني (السوداني) منه للقطاع الطلابي وقد تكون هنا وهناك تجارب اخرى للتمدد الجماهيري للمؤتمر في بعض الكليات ولكنها تظل احداث لا تسم الوجهة العامة للمؤتمر مثل سيطرت المؤتمر على اتحاد كلية ودمدني الاهلية ولكن تظل السمة العامة بأن المؤتمر انحسر كتنظيم نقابي جماهيري له قواعد بالالاف منذ العام 1995 وبرز المؤتمر كتنظيم فكري يطرح بدائل فكرية متقدمة على كل رصفانه من التنظيمات الطلابية بل وحتى بعض الاحزاب السياسية في الشارع السوداني.

مع بداية العام 1998 بدأ بتشكيل تيار جديد داخل المؤتمر هذا التيار هو التيار الذي غلب عليه التفكير التنظيمي وهم تيار الاداريين ظل هذا التيار ينشط في محاولات مستمرة لوضع نظام اساسي ولانحة تنظيمية وقواعد يلتزم بها الاعضاء ولقد ظلت السمة الغالبة لكل الاشكالات التي تجابه التنظيم في هذه الفترة هي كلمة واحد عدم الالتزام التنظيمي لكادر المؤتمر او عضو المؤتمر بدأ التيار التنظيمي عمله منذ 1995 حيث كان بداية صياغة دستور للتنظيم الطلابي ثم اللانحة التنظيمية 1998 ثم الهيكلية ثم القواعد والاسس التنظيمية وبدأت عملية محاسبة الاعضاء الذين لا يقومون بواجباتهم التنظيمية او لا يخضعون للوائح التنظيمية او ينتهكوها او يضرروا بالتنظيم وقد شهد التنظيم عدد من حالات الفصل والايقاف والانذار وتجميد العضوية , بدأ منذ نهاية 1998 وبداية 1999 يسطع العمل التنظيمي داخل المؤتمر والذي استمر حتى يومنا هذا

يمكن ان نلخص كل مرحل وتيارات المؤتمر على النحو الاتي:

المرحلة الاولى مرحلة التأسيس في الفترة من 1977 حتى 1985 وسيطر علي قيادة

المؤتمر تيار النقابيين وابرز سمات هذه المرحلة هي :

أ- تمدد جماهيري واسع للمؤتمر وسط الحركة الطلابية

- ب- سيطرة المؤتمر على الاتحادات الطلابية والروابط الاكاديمية
- ت- قيادة المؤتمر للحركة الطلابية والنقابية السودانية نحو اسقاط نظام مايو
- ث- عدم وجود أي رؤى فكرية للمؤتمر بل تبني شعارات عامة وفضفاضة
- ج- وجود بنى تنظيمية ومجموعات منظمة من غير وجود لوائح او نظام اساسي

المرحلة الثانية مرحلة التأطير النظري في الفترة من 1985 حتى 1998 وسيطر على قيادة المؤتمر تيار المفكرين وأبرز سمات هذه المرحلة هي:

- أ- اكتمال الرؤى الفكرية والنظرية للمؤتمر في ما يعرف ببرنامج الثورة السودانية والكتابين الأشهر في تاريخ المؤتمر جدلية المركز والهامش ومنهج التحليل الثقافي
- ب- النضوج والتميز الفكري والمعرفي لاعضاء المؤتمر كنتيجة للمساجلات الفكرية التي اتسمت بها هذه المرحلة مما افرز عددا من الكتاب والمفكرين.
- ت- انحسار المؤتمر كتنظيم طلابي جماهيري نقابي وبالتالي ضياع الارث والخبرة في العمل النقابي.

المرحلة الثالثة مرحلة التنظيم الاداري في الفترة من 1998 حتى 2011 وسيطر على قيادة المؤتمر تيار الاداريين وأبرز سمات هذه المرحلة هي:

- أ- صياغة اللوائح والنظم الاساسية والداستير الداخلية للتنظيم الطلابي
- ب- التدريب والتأهيل للأعضاء في الجوانب الادارية والتنظيمية المختلفة
- ت- اتجاه التنظيم نحو التحليق خارج الفضاء الطلابي والاهتمام بقضايا السياسة السودانية اليومية على حساب العمل الطلابي والنقابي.
- ث- انحسار النشاط الفكري والمعرفي في المؤتمر وتضاوله.
- ج- عودة المؤتمر كشريك مع القوى السياسية الاخرى للمنابر النقابية والإتحادات الطلابية

كتبت هذه الورقة بمناسبة المؤتمر العام الثالث لمؤتمر الطلاب المستقلين في 5-8 يونيو 2011

مالك ابوالحسن